

من رسائل الأب صفرونيوس



حول

موت الرب المحيي

على الصليب المُكرم

رسالة الأب صفنيا

أبانا المكرم والمعلم الذي أعطانا خبز الحياة وسلم لنا أسرار الحياة الأرثوذكسية الشيخ πιϩελλοι الوقور صفرونيوس. سلام في الرب يسوع. قرأنا رسالتكم وتعزينا ا وكانت سبب فرح لكل الأخوة في الدير. نسخ الأب مكاريوس الناسخ عدة نسخ (كتب) للأخوة. وسألني الأخوة في اجتماع السبت عدة أسئلة أضعها أمام محبـتكم، ولكي يكون لنا تعليم واحد، أرجو أن تجيب عليها قبل حلول الأسبوع العظيم، أو أن تأتي إلينا في اية الأربعين المقدسة، إذا كانت الظروف تسمح.

أسئلة الإخوة

أولاً: يقول الرسول: "كما في آدم يموت الجميع، هكذا في المســيح ســيحيا الجميع" (١كور ١٥: ٢٢). فكيف يجب أن نفهم هذه الحقيقة؛ لأن الــرب مــات ذات موت آدم، وهو ما يؤكده الرسول قبل ذلك: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان أيضــاً قيامة الأموات" (١كور ١٥ : ٢١)؟

ثانياً: يقول نفس الرسول: "بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، وبالخطية الموت، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ أخطأ الجميع ..... بخطية واحد مــات الكثيرون .... بخطية واحد ملك الموت بالواحد .... بخطية واحد صــار الحكــم إلى

جميع الناس للدينونة .... بمعصية الإنسان الواحد جعل الكثيرون خطـاة" (رو٥: ١٢ - ١٩)، فكيف يجب أن نفهم هذه الحقيقة الرسولية؛ لأن الرب مات ذات الموت الـذي ماته آدم لكي يرفع حكم الموت والدينونة؟ أما باقي الأسئلة فهي تدور حـول نفـس الموضوع الذي ورد في رسالة محبتكم لنا.

سلام ومحبة في إلهنا الصالح ولأبوتكم الروحية،

صفنيا يرسل السلام في الرب

رد الأب صفرونيوس

الأب المبارك والمدبر ϩⲏⲅⲟⲩⲙⲉⲛⲟⲥ صفنيا، والأخوة الأحباء.
صفرونيوس خادم الرب يسأل بركة صلواتكم.

الرد على السؤال الأول

"كما في آدم يموت الجميع"، هي حقيقة لا يمكن أن ننكرها، ولكن باقي كلمات الرسول بولس معلمنا الصادق تجيب على سؤالكم: "هكذا في المسيح سيحيا الجميع". والمقارنة هنا ليس بين موت آدم وموت الرب يسوع المسيح، بل بين الموت والحياة، وهو ما يؤكده الرسول بعبارةٍ دخلت تسابيح الكنيسة الأرثوذكسية "المسيح باكورة"؛ لأنه هو أول ثمار القيامة، وهو مات ولا يسود عليه الموت، بل حتى في موته على الصليب لم يكن للموت سيادةً عليه، بل هو ساد على الموت؛ لأن الرسول يقول عن سيادته على الموت: "لكي يبيد بالموت ذاك الذي له سلطان الموت أي إبليس" (عب ٢: ١٤).

وهكذا نعلم جيداً إن الرب يسوع المسيح كان هو أول، أي باكورة الذين يخرجون الشياطين، إذ لم يكن لأحد سلطانٌ على الشيطان في العهد القديم برمته، وحتى داود النبي كان - بالموسيقى - يحاول تهدئة الروح الشرير الذي أذل الملك شاول (١صم ١٦: ١٤ - ٢٣). أما في العهد الجديد، فقد جاء الرب مبشراً بالملكوت، وأخرج الشياطين، وأعطانا السلطان أن نطرد الأرواح النجسة، ولذلك أباد سلطان الشيطان قبلَ صلبه، وأعطى هذا السلطان للتلاميذ القديسين ورسله المكرمين، بل

وسلم هذا السلطان لنا، والذي نراه يعمل الآن فينا وبنا في خدمة المواهب والعطايا الروحية في الكنيسة الجامعة. لذلك من الصعب على إيماننا المقدس أن نقول إن الشيطان الذي جاء بالخطية وبالموت، وأسر الجنس البشري، كانت له سيادة أو سلطان على الرب، فهذا تعليم لا يمكن قبوله بالمرة؛ لأنه يجعل العدو والشر أقوى من محب البشر صانع الخيرات، ويعطي للشر سلطان على الخير، بينما العكس هو الحق الذي نقبله بإيمان، ونتوقع إعلانه الكامل يوم الدينونة عندما نرى كل شيء تحت قدميه؛ لأن الرسول قال إن الآب أخضع كل شيء تحت قدميه (١كو ١٥: ٢٤ - ٢٨)، ولذلك أباد الرب كل سلطان وكل رئاسة، وأبطل مشورة المعاند الرديء، وأسره بقوة الصليب، وأذل كبريائه بتواضعه وقبوله الموت عن البشر.

ولعلنا نرى أن إخراج الشياطين قبل صلب الرب، ثم تسليم هذا السلطان للرسل القديسين، هو دليل باهر على عدم قدرة الشيطان على أن يكون له سلطان الموت.

وعندما يقول الرسول: "كما في آدم ... كذلك في المسيح"، فهو يقارن بين الموت والحياة. وشمولية الموت يقابلها شمولية الحياة وقيامها في المسيح. حتى الخطاة ينالون القيامة مع القديسين، ولكن ليست قيامة المجد، بل قيامة الدينونة.

ومن المستحيل علينا أن نقارن بين الموت والحياة؛ لأن المقارنة لا تجوز، فقد فقدنا الحياة بالخطية، ولكن رد الحياة يجب أن يكون أعظم من فقداننا. وهذا السبب بالذات هو الذي يجعلنا نؤمن بألوهية الرب يسوع المسيح خالق السموات والأرض مؤسس الحياة، و"رئيس الحياة" (أع ٣: ١٥)، وواهب كل الكائنات الحياة حسب الإعلان الإلهي: "فيه كانت الحياة والحياة نور الناس" (يو ١: ٤). فلا يجوز لنا أن نقارن الظلمة بالنور؛ لأن الظلمةَ هي عدم (وجود النور)، أما النور فهو يشرق في الظلمة والظلمة لم تدركه (لم تقو عليه) (يو ١: ٥).

وحسب عبارة الإخوة: "الرب مات ذات موت آدم"، والذي دعموه بأقوال الرسول: "فإنه إذ الموت بإنسان، بإنسان قيامة الأموات" (١كـور ١٥: ٢١)، نشير إلى أن الرسول لم يذكر إن الرب قد مات موت آدم، فهذه العبارة بالذات لم ترد في رسائل الرسول بولس، بل هو - بشكل خاص - يؤكد أن الموت دخل على الطبيعة الإنسانية وساد على الكل، وأن القيامة جاءت بطبيعة إنسانية حقيقية مثل طبيعتنا، وهـو مـا يؤكده الرسول: "بإنسان أيضاً قيامة الأموات"؛ لأن ناسوت الرب قام حيـاً بقـوة لاهوته.

وهنا بالذات أريد أن أحذر الأخوة من التعليم الذي شاع في كورة مصـر، والذي يعتبر القيامة مثل الموت، أي تعاقُب الحياةُ بعد الموت. هذا التعليم القديم الذي عرفته الوثنية وديانات الأُمم السابقة، لا تملك عليه أي دليل؛ لأن الموت لا يعطي لأي مخلوق - مهما كانت قدراته - أن يعود إلى الحياة مرةً أخرى. وحتى الذين قاموا من الأموات في العهد القديم، ماتوا بعد ذلك. أما الدليل الباهر على القيامة، فهو قيامـة الرب والمخلص بقوة حياة لا تزول (راجع عب ٧: ١٦)، فقد غَلَب الموت، لـيس بقـوة الناسوت، بل بقوة لاهوته التي جعلت الناسوت فوق سلطان الموت. وعندما مـات، مات موتاً حقيقياً ذاقه بالجسد، ولكنه كان مثل قوي يحارب خصماً ضعيفاً دخل عليه فقيده القوي وحمل أمتعته (راجع مت ١٢: ٢٩ – مر ٣: ٢٧). هكذا تكلم الـرب بشـكل رمزي لكي يعلن بعد ذلك الحقيقة الكاملة على الصليب، ومن القبر.

فمن الذي كسر شوكة الموت إلا الذي غَفَر كل الخطايا، وأعلن نهاية وسيادة الموت؛ لأن شوكة الموت هي الخطية (١كور ١٥: ٥٦). وعندما أبطل الرب يسوع المسيح وساطة الشريعة، فقد أبطل "قوة الخطية" التي أخذت سلطانها على الإنسان من الشريعة (الناموس) (راجع ١كور ١٥: ٥٦).

الرد على السؤال الثاني

فرحت بالسؤال الثاني؛ لأنه يؤكد أن الإخوة يقرأون الأسفار المقدسة، ولذلك أُصلي لأن ينال الكل استنارةً من فوق، من النور الحقيقي: الآب والابن والروح القدس؛ لكي نميز الكلمات والمعاني، ولا نخلط بين تعليم الكنيسة الجامعة وتعليم الأُمم.

ودليل الشرح الأرثوذكسي لكلمات الرسول بولس نجده في نفس كلمات الرسول. حقاً دخلت الخطيةبإنسان واحد هو آدم، وفي آدم مات الجميع، ولا يمكن لأحد أن يكابر. وملَك الموت بسبب فقدان عطية الروح القدس التي وهبت لآدم؛ لأن الرب بعد أن طَرد آدم من الفردوس، قال "لا يدين روحي في الإنسان" (تك ٦: ١). فلم يبق الروح القدس فينا، بل كان يعطى من آن لآخر للأنبياء، وبقدر ما احتاجه تدبير النبوة. ولذلك بعد أن أكمل الرب خلاصنا، وقبل صعوده "نفخ" وأعطى الروح القدس للتلاميذ الأطهار باكورة الخليقة الجديدة، أي شهود القيامة. وعندما يؤكد الرسول هذه الحقيقة، فهو يقدمها بكلمات التقوى الأرثوذكسية: "ولكن ليس كالخطية هكذا أيضاً الهبة"[1] (رو ٥: ١٥). ومن هذا نفهم أن الرسول لا يقارن بين الخطية والهبة، بين الموت والقيامة، بين السقوط والتجديد؛ لأن موت الواحد الذي جلب موت الكثيرين لا يقارن بالمرة - حسب كلمات الرسول عن نعمة الله والعطية - بالنعمة التي بالإنسان الواحد يسوع المسيح والتي ازدادت للكل (راجع رو ٥: ١٥). ويؤكد الرسول بعد ذلك أنه لا يمكن مقارنة الحكم الذي جاء بدينونة الموت، بعطية الغفران التي مسحت كل الخطايا، مؤكداً بعد ذلك أنه بالإنجيل صار لنا "فيض النعمة" (رو ٥: ١٧)، بل من كلمات الرسول بولس أخذنا هذه العبارات في صلوات الخدمة (القداس)؛ لأننا لا نصلي بتواضعٍ مزيف ونحن في الهيكل، بل بصدقٍ نؤكد "حيث كثر

---

(١) بسبب دقة وحساسية هذه الفقرات التزمنا بنص الترجمة العربية الشائعة رغم دقة الترجمة القبطية - الرب يسوع يرسل لنا من ينشر العهد الجديد باللغة القبطية.

الإثم فلتكثر هناك نعمتك" (القداس الباسيلي)، وهناك نؤكد أن الوسيط الحي هو ربنا يسوع المسيح الذي يعطي لنا جسده ودمه لكي نحيا بهما.

وأعود وأكرر أمامكم إن عبارات التعليم الرسولي يجب أنْ تبق منارةً لنا حيث يعلن الرسول "إن الموت لا يسود على الرب؛ لأن الحياة التي يحياها بعد قيامته هي لله" (راجع رو ٦: ١٠). وهكذا هو يحيا فينا غالباً الخطية، قائداً إيانا نحو التوبة، مقدساً إيانا بالروح القدس، وبدم العهد الجديد الذي هو أفضل وأعظم من كل دم ذبائح العهد القديم.

وكما ذكرت في رسالتي لكم، أعود وأُكرر ما أخذناه عن شيوخ الكنيسة. لقد صار الصليب المكرم ينبوع خلاصٍ وحياة لنا جميعاً، فهو ليس موتاً بدلاً لموت، أي موت الرب كما مات أدم؛ لأن الرب هو آدم الثاني "الرب من السماء" (١كور ١٥: ٤٧)، بل هو موت جمع فيه الرب ثلاثة أشياء:

- الطبيعة الآدمية الحقيقية القابلة للموت، والتي أخذها من والدة الإله؛ لأنه حقاً هو إنسان كامل.
- الموت الذي ساد على كل البشر.
- حكم الدينونة: "موتاً تموت".

وسمح الرب للموت أن يقترب منه بإرادته الإلهية المتجسدة، ولذلك قال عن موته: "لي سلطان أنْ أضعها، وسلطان أنْ آخذها أيضاً"، ولما جاز الموت في كيانه تم حكم الدينونة ومات حقاً. فقد قبل الموت في الناسوت وذاقه بالجسد، ولكن لا يجب أنْ ننسى أن الذي ذاق الموت بالجسد هو ذاته الذي نطق بالحكم: "موتاً تموت" (تك ٢: ١٧)، فقد كان يمارس سلطانه الإلهي كديان عادلٍ، ولذلك قال الرسول: "دان الخطية في الجسد" (رو ٨: ٣).

ولم يكن حكم الموت هو حكم واحد فقط من أقانيم الثالوث، بل هو حكم الثالوث الواحد. هذا مدهش حقاً وعجيب أن يقبل الديان ذات الحكم، ولكن الديان لم يحاكم كعبد شرير، أو كإنسان خاطئ، إذ لم يكن هناك من يحاكمه، بل يحـاكم الخطية أمام الإنسان معلناً أنه يكره الخطية، ويشفق على الإنسان الخاطئ، وهـو مـا يقدر الله وحده على أن يفعله. هذا صعب علينا نحن البشر؛ لأننا لا نستطيع في أمـورٍ كثيرة أن نفصل بين الخطية والخطاة، والذين يفعلون ذلك هم من نـالوا ذات طبيعـة وفكر الرب يسوع المسيح نفسه. وعلى الصليب – بالموت – قتل الرب الموت مؤكداً أن ثمرة الخطية أي الموت لا يمكن أنْ تدوم إلى الأبد، بل سحقها تحت قدميـه علـى الصليب.

كانت غلبةُ الموت على الصليب. وكانت غلبةُ الجحيم بالقيامة. فقـد كـان الجسد معلقاً على عود الصليب غالباً الموت. أما النفس الإنسانية، فقـد نزلـت إلى الجحيم بواسطة الصليب وهناك داست الهاوية (حرفياً: حفرة الموت).

ولأن الجسد غَلَب على الصليب، فإننا نأخذه في السر المجيد قربانَ حياة. ولأن النفس غَلَبت الهاوية، لذلك تتحد نفوسنا بنفس الراعي الصالح، رأس الكنيسـة. ولأن اللاهوت هو القوة وفيض الحياة الذي حفظ الناسوت من الفساد وأعـاده حيـاً إلى الأبد، ووحد النفس بالجسد، فإننا نأخذه في السر المجيد وفي سائر سـرائر (أسـرار) الكنيسة الجامعة.

إن ما ذكرناه، إنما هو معلن في الخدمة الإلهية (القداس)؛ لأننا نقول: "بموتك يا رب نبشر"، ولا نقف عند هذه الكلمات، بل نكمل: "وبقيامتك المقدسة"؛ لأننا لا نعيد في عيد المائدة السماوية، بموت الرب فقط، بل أيضاً بقيامته ونشترك في موته وفي حياته في كل يومٍ وفي كل قولٍ وفعل؛ لأننا نترك كل الأشياء لكي نتبع الرب، ونموت حتى عن الأمور الصالحة من أجل أن ننال العطايا السماوية.

أيها الأب المدبر، ثبت الأخوة في التعليم الرسولي؛ لأن دعـوة الموحـدين في كورة مصر تحاول أن تنـزع منا نعمة الإنجيل، وأنْ تعيدنا إلى الشريعة القديمة. وهي دعوة بلا سرائر (أسرار الكنيسة)، ولذلك فهي فارغةٌ تماماً من الروح القـدس، روح يسوع الرب المحيي الذي هو منبثق من الآب يحمل إلينا عطايـا الآب، ونـاقلاً إلينـا التقديس الكامل الذي أكمله الرب يسوع في جسده المحيي موحداً إيانا به، صانعاً منا وفينا خليقةً جديدةً حيةً بالروح القدس، هنا في هذا الدهر، وفي الدهر الآتي؛ لأننا لن نحيا حياةً جسدانيةً بعد القيامة، نأكل ونتزوج كما كنا قبل يوم الدينونة، بل نحيا حياة الشركة في الثالوث القدوس: في **الآب** الذي نعود إليه كأصلٍ لنا. **وفي** **الابن** الوسيط الذي فيه وبه نقلنا من عبودية الخطية والموت إلى حياة مجد الابن الوحيد بة التـبني. **وفي** **الروح القدس** رب الحياة الذي ينقلنا من تراب الأرض إلى رفعة وعـزة الابـن الوحيد، معطياً إيانا ذات التقديس الذي أخذناه، ويثبت فينا في سر الولادة الجديـدة والمسحة الإلهية.

ويجب أنْ نفهم باستقامة (حرفياً: بأرثوذكسية) أن الرسول عندما يقـول إن "الموت الذي ماته قد ماته للخطية مرة واحدة" (رو ٦: ١٠)، فهو لا يعـني بـالمرة أن الخطية أماتت الرب، بل مات هو لكي يميت الخطية، أي قو ا الظاهرة بوضوحٍ، وهي الموت. وهو قد مات للخطية، وتعبير "مات للخطية"، غـير "مـات بالخطيـة"؛ لأن السبب واضح من كلمات الرسول بعد ذلك "الحياة التي يحياها، فيحياها لله"، وهو هنا لا يعني أن الرب لم يكن حياً لله، وإنما بعد أنْ مات ليميت الموت، صارت حياته هي حياة الوسيط بين الله والناس.

ويؤكد الرسول بعد ذلك "مرةً واحدةً"؛ لأن الرب مات مرةً واحدة، وصلب مرةً واحدة، ولذلك فهو لا يصلّب كلما نخطئ، وهذا في حد ذاته يكفي لأن نقـول إن الموت قد ماته مرةً واحدةً لكي يميت الموت.

وهنا جدير بنا أن نذكر أن الرب قد غفر خطايا كثيرة قبل صـلبه؛ لأن لـه سلطان مغفرة الخطايا (مت ٩: ٦ – مر ٢: ١٠ – لو ٥: ٢٤)، فهو لم يمـت بالخطيـة، ولا كانت الخطية من القوة بحيث أ ا تضع الموت في قلبه وإرادته وفكره الإنساني. أما قول الرسول إنه حمل خطايانا في جسده على عود الصليب (راجع ٢ بط ٢: ٢٣ - ٢٤)، فقـد سبق وذكر الرسول نفسه "الذي لم يفعل خطية ولا وجِد في فمه مكر" (٢بـط ٢: ٢٢)، وبعد ذلك يؤكد أنه عندما تألم لم يكن يهدد، بل كان يسلم بعدلٍ (راجع ٢بـط ٢: ٢٣). وهكذا بعد أن أكد قداسة الرب قال: "الذي حمل هو نفسه خطايانا في جسده علـى الخشبة؛ لكي نموت عن الخطايا فنحيا للبر" (٢بط ٢: ٢٤). وما هي خطايانا إلا الجـراح التي كنا نحن السبب فيها، أي جراح المسامير وطعنة الحربة وعذاب الصليب؛ لأنه تألم بما فعلناه معه. وهكذا يدعونا الرسول أن نأخذ الرب كمثالٍ لنا في الاحتمال وقبـول الصليب وإهانات الخطاة التي نحملها أحيانا في أجسادنا.

لقد دخل الرب إلى السماء عينها، وليس إلى قدس أقداس هيكل سـليمان، وهو ما يطلق عليه الرسول "المسكن الأعظم" الذي يفوق كماله كل كمال آخر "أي السماء" (راجع عـب ٨: ١٢)، فأسس بذلك الفداء الأبدي، ولأنه رئيس كهنـة العهـد الجديد يصفه الرسول بأنه "قدوس، وبلا شرٍ، ولا دنس ... أعلى من السموات" (عب ٧: ٢٦). وهو هنا يدخل الأقداس الحقيقية لكي يهيئ لنا طريـق الحيـاة الجديـدة في السموات.

لقد كتبت هذا الشرح لأجل منفعة الإخوة، ولذلك أرجو أن تضيف ما تراه مناسباً من كتابات الآباء لاسيما معلمنا أثناسيوس الكبير ومعلمنا كيرلس البار والعظيم بين معلمي الكنيسة.

سلام ومحبة لكم في الرب يسوع.